

د . عبد الله أحمد التهامي

العصبية القبلية

أسبابها وآثارها وعلاجها

د . عبد الله أحمد التهامي (*)

المقدمة:

إن الله سبحانه قسّم الأنساب والمراتب بين الناس، كما قسم أرزاقهم وأخلاقهم، ولا حرج على المسلم أن يعتني بنسبه، ويعرف مكانة عائلته وعشيرته في حدود الشرع، إن لم يترتب على ذلك مفسدة، أو ظلم، أو تعدّ على أحد.

لكن التعدي على المسلمين وازدراءهم وبغضهم بوجه من الوجوه هو الرزية في ذلك.

وقد ذم الإسلام التعصب ونهى عنه ؛ سواء كان التعصب لشخص، أو قبيلة، أو مال، أو جاه، بل نسب الإسلام العصبية إلى الجاهلية، ووصفها بالننتة تقبيحا لها وتنفيرا منها.

والتعصب قد يكون محمودا إذا كان الاجتماع على الخير والبرّ، وقد يكون مذموما إذا كان على الإثم والشرّ وغمط الناس حقوقهم.

ومن باب التعصب أيضا الحميّة : وهي إما أن تكون حميّة لنصرة الحق ودفع الباطل، وإما أن تكون لغير ذلك؛ فتكون من الحمية الجاهلية.

(*) أستاذ مشارك بكلية التربية- جامعة أم درمان الإسلامية – السودان.

العصبية القبلية

أهداف البحث

معالجة المشكلات القبلية التي أفرزت دوراً سالباً في المجتمعات

أهمية البحث

تكمن أهميته في أهمية الموضوع نفسه وحساسيته وأهميته للمجتمع .

• مشكلة البحث

تكمن في الوسائل التي تتخذ لحل المشكلات الناتجة عن القبلية البغيضة

• منهج البحث

سوف أتبع منهج الاستقراء والتتبع.

• مجتمع الدراسة :

المؤلفات والكتب والأوراق العلمية في مجال البحث وموضوعه.

• التوثيق:

عزو الآيات الواردة في البحث إلى مواطنها في المصحف الشريف وتوثيق الأقوال المنقولة عن العلماء بالإحالة إلى مواضعها من كتبهم بذكر الصفحة والجزء.

• هيكلية البحث

قسمت البحث إلى مبحثين والمباحث إلى مطالب كالآتي :

*المبحث الأول: تعريف وأشكال ومقومات العصبية

المطلب الأول : تعريف العصبية في اللغة والإصطلاح.

المطلب الثاني: أشكال التعصب.

المطلب الثالث: مقومات العصبية القبلية.

*المبحث الثاني : أسباب العصبية القبلية وعلاجها.

المطلب الأول : أسباب العصبية القبلية :

مجلة كلية دار العلوم- العدد ١٤٩ مارس ٢٠٢٤م

د. عبد الله أحمد التهامي

المطلب الثاني :علاج العصبية القلبية والمناطقية.

المطلب الثالث : نماذج للقلبية

الخاتمة.

النتائج .

المصادر والمراجع

المبحث الأول

تعريف وأشكال ومقومات العصبية

المطلب الأول : تعريف العصبية في اللغة والإصطلاح.

العصبية في اللغة تعني : أن يدعو الرجل إلى نصره عصبته . والتألب معهم على من يناوئهم . ظالمين كانوا أو مظلومين (١).

أما في الإصطلاح : فهي النعرة على ذوي القربي وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة . فإن القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه أو العداة عليه ويود أن يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك نزعة طبيعية في البشر (٢) .

وتعريفها عند الجابري (٣) . هي رابطة اجتماعية سيكولوجية (نفسية) شعورية ولا شعورية معا، تربط أفراد جماعة ما قائمة على القرابة، ربطاً مستمراً يبرز ويشند عندما يكون هنالك خطر يهدد أولئك الأفراد كأفراد، أو جماعات. وقالوا بأنها رابطة الدم، أو تكاتف اجتماعي، أو تضامن قبلي، وكل تلك المعاني تدور حول معنيين (الاجتماع والنصرة).

* انصر اخاك ظالماً أو مظلوماً

* تحرم الكفاءات فتكون الأولوية في الاختيار للمنتمين، فتحرم الكفاءات من المساهمة في رقي المجتمع وتنميته .

(١) محمد بن أحمد بن الأزهرى . تهذيب اللغة . تحقيق محمد عوض مرعب . بيروت الطبعة ١ ج ٢ ص ١٣٠ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ١٢٨ .

(٣) محمد عابدين الجابري . العصبية والدولة بيروت . طبعة ٦ ص ١٦٨ .

د . عبد الله أحمد التهامي

* العصبية هي التحيز دون وجه حق، وإظهار العداوة، والبغضاء، وعقد الكراهية للآخرين بمجرد أنهم مختلفين عنا وتتيح المناصرة على أساس القوة على حق، أو على باطل سواء أكانوا على حق، أم على باطل، ظالمين، أم مظلومين.

أما مسألة الانتساب والنسب فهي مسألة خاصة، ليعرف أصله ونسبه وليس المفاضلة والترفع والتعالي على الآخرين وتحقيرهم، وتقسيم المجتمع إلى طبقات، يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى لتعارفوا، عن مجاهد خلق الله الولد من ماء الرجل وماء المرأة، وقد قال تبارك وتعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى^(١)).

وقوله : (وجعلناكم شعوبا وقبائل^(٢)) وجعلناكم متناسبين فبعضكم يناسب بعضا نسبا قريبا، فالمناسب من لم ينسبه أهل العربية، وذلك إذا قيل للرجل من العرب : من أي شعب أنت ؟ قال : أنا من معتر، أو من ربيعة، وأما أهل النسب القرية أصل القبائل، (وهم كتميم من مضر، وبكر من ربيعة) وأقرب القبائل الانتماء .

(لتعارفوا) يقول ليعرف بعضكم بعضا في النسب ، يقول تعالى ذكره : إنما جعلنا هذه الشعوب والقبائل لكم أيها الناس ، ليعرف بعضكم بعضا في قرب القرابة منه وبعده ، لا لفضيلة لكم في ذلك وقرب تقربكم إلى الله ، بل أكرمكم عند الله أتقاكم (إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

إن أكرمكم أيها الناس عند ربكم أشدكم اتقاءً له بأداء فرائضه واجتناب معاصيه لا أعظمكم بيتا ولا أعظمكم عشيرة .

(١) سورة الحجرات الآية ١٣ .

(٢) سورة الحجرات الآية ١٣ .

العصبية القبلية

*إن أول ما يتبادر إلى الذهن عند الحديث عن العصبية ذلك النموذج البغيض الذي عرفه الناس في الجاهلية، فقد كان للعصبية الجاهلية آثارها المؤذية في مظاهر الحياة العربية قبل الإسلام فقد أغلقت عليهم عصبيتهم منافذ العقل والوعي فعاشوا في حدود القبلية ومن وراء جدرانها لا يعرفون معنى الأمة وينظرون إلى العالم حولهم من خلال كوة صغيرة، يسمعون بأذن القبلية ويفكرون بمنطقها ، فعاشوا متفرقين لا يجتمعون على هوى واحد ، ومن ثم كان الشعور العدواني مصاحباً لهذا التفكك القبلي، لم يسلم منه فرد ولا رهط ولا عشيرة ولا قبيلة حتى أكلت الحروب الأخضر واليابس من حياة القبائل المتنازلة وهذا أمر طبيعي حين تكون العصبية القبلية هي القانون المسيطر على الحياة ، لأن هذ النوع من العصبيات يجعل صاحبه متبلد الإحساس جامداً في فكره ووعيه مستعبداً بنوازع العصبية فلا يقيم وزناً لأي معنى يمثل في حياة الناس قيمة .

القبلية: هي نسبة إلى القبيلة والقبيلة هي ناس من أب واحد.

المطلب الثاني: أشكال التعصب

اتفق الفقهاء على حرمة التعصب للقبيلة وأبناء العشيرة والانحياز إلى القرابة، والمحابة بسببها، والافتتال من أجلها، أو تحت لوائها على غير وجه الحق.

وقد جاء الإسلام ليزيل آثار القبيلة السيئة فألف بين القلوب ومنع التقاطع، والتدابير، قال الله تعالى: { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ^(١) }، وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا

(١) سورة ال عمران الآية ١٠٣.

د . عبد الله أحمد التهامي

خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ
أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ^(١) .

أ- التعصب العنصري:

هو عبارة عن معتقدات تؤكد تفوق عنصر معين على عناصر أخرى -
بغض النظر عن صحة هذه المعتقدات- وينتج عنها مشاعر الكراهية ضد
الآخرين، وكان هذا حال النازية والفاشية .

ب- التمرکز العرقي:

إن مفهوم التمرکز العرقي هو ذلك الحكم والسلوك الذي على أساسه ينظر
الفرد، أو الجماعة إلى ثقافته، أو قومه على أنهم أفضل الثقافات والقوميات
الأخرى؛ وهو يرى ثقافته المعيار الأنسب لتقييم الثقافات الأخرى .
ومن عجائب العصبية : أن أسباب حروبها وبواعثها قد تكون تافهة للغاية،
فإن بعضها يحدث نتيجة لعلّة تكمن خلفها القبائل والعشائر بسبب التركيبة
الاجتماعية الخاصة لديها، وهي تلك الروح التي تلازم القبيلة وتشد رباطها من
أجل مقاومة الغير، والعصبية القبلية انتشرت بسببها البغضاء ومنها انبعثت
الأحقاد، ولأجلها رفعت شعارات واستغلها الأعداء أبشع استغلال .
ومع أن النبي صلى الله عليه وسلم قد حذرنا منها، إلا أننا نجدها مترسّخة
في المجتمعات الإسلامية.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس منّا من دعا إلى عصبية، وليس
منّا من قاتل على عصبية، وليس منّا من مات على عصبية".

ولعل من أسباب انهيار الدولة الأموية التعصب بين القيسية واليمانية،
والتنافس بينهما ؛ مما أدى إلى التنافس بين أجنحتها وانهيارها في نهاية الأمر .

(١) سورة الحجرات الآية ١٣ .

العصبية القبلية

العصبية والإسلام:

انطلاقاً من قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق"^(١).

ومنها- أي الأخلاق- ما كان مذموماً فأبطله الإسلام، أو صحح فهمه فأصبح بعدها محموداً.

وبما أن العصبية الجاهلية كانت بمنزلة الأساس للأعراف القبلية السائدة آنذاك وكانت في الوقت نفسه من أسباب الفرقة والتقاتل بين الناس؛ لذا فقد ركز الرسول صلى الله عليه وسلم عليها، وحاربها بكل قوة دون هوادة، وحذر منها وسد منافذها؛ لأنه لا بقاء للدين العالمي ولا بقاء للأمة الواحدة مع هذه العصبيات، ومصادر الشريعة الإسلامية ذاخرة بإنكارها وتشنيعها وما أكثر النصوص في ذلك!

وقد قررت الشريعة أنه لا عصبية في الإسلام؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم "إن الله أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء إنما هو مؤمن تقى وفاجر شقى، الناس كلهم بنوا آدم وادم خلق من تراب"^(٢). فجعل الفخر بالتقوى، وجعل الإنسان إنما يكرم وإنما يرتفع منصبه ومنزلته عند الله تعالى إذا حقق التقوى، ولذلك يقول بعضهم:

ألا إنما التقوى هي العز والكرم وحبك للدنيا هو الذل والسقم
وليس على عبد تقى نقيصة إذا حقق التقوى وإن حاك أو حجم

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل : أحمد بن حنبل.المحقق : شعيب الأرنؤوط وآخرون.
الناشر: مؤسسة الرسالة. الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.الجزء الرابع عشر
ص ٥١٢.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية : عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبرين ص ١٣.

د . عبد الله أحمد التهامي

فإذا: الفخر إنما هو بطاعة الله وبالتقرب إليه، وتمايز الناس وتفاوتهم إنما يكون بحسب الإيمان، وبحسب آثار الإيمان، فأفضلهم أكملهم إيماناً وأكملهم أعمالاً وأكملهم وأحسنهم أقوالاً وأحوالاً، وأبعدهم عن الآثام، وأبعدهم عن أنواع الإجرام، هذا هو أكملهم عند الله وأكرمهم، وأرقاهم منزلة، فأما منصب وجاه ومال وحسب ونسب ومسكن وولد؛ فكل ذلك لا يُغني عن صاحبه، كما ذكر الله عن الكافر في قوله: ﴿لَمَّا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهُ * هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّتُهُ﴾^(١)، أي: هلكت عني سلاطيني وحسبي ونسبي وقبيلتي وأسرتي وأنصاري وأعواني، وتخلوا عني.

فإذا: ما على الإنسان إلا أن يحقق الإيمان ويحقق التقوى؛ ليصبح بذلك أفخر الناس وأشرفهم، والفخر والشرف إنما يكون بما عند الله، ولا يضره لو كان ضعيفاً مهيناً لا يُؤبه له، ولا يُنظر إليه، ويُدفع عن الأبواب، ولا يُقدّم في المجالس، ولا يُحترم ولا يُكرم؛ فإنه إذا كان عند الله عزيزاً، كريماً، شريفاً، فلا يضره كونه عند الناس وضيعاً.

كما قررت الشريعة المساواة بين الناس فأساس التفاضل التقوى والعمل الصالح قال تعالى (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ).

وقول النبي صلى الله عليه وسلم "لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي إلا بالتقوى".

ويبدو أننا كمجتمع سوري مثلاً، يتعصب بعضنا على بعض من أكبر تقسيم جغرافي إلى أن نصل إلى الحيّ والحارة، فكل من ابن المدينة والريف وابن حلب وابن دمشق وابن المنطقة الشرقية يظنّ كل منهم أنه أفضل من الآخر، الأمر الذي يشكل أمراضاً اجتماعية تفتك بالمجتمع.

(١) سورة الحاقة الآية ٢٨-٢٩.

العصبية القبلية

وزادت هذه الظاهرة مع الثورة السورية واشتداد أوزار الحرب بين الثوار والنظام فنشأت صورة جديدة من صور التعصب؛ هذا ابن المنطقة وهذا لاجئ، تماماً كما حدث عندما احتل الكيان الصهيوني الجولان والقنيطرة، فكل من قديم من تلك المناطق أطلقوا عليه في الشام اسم نازح، وكأنه وصمة عار. يعني حقيقة إذا غصنا داخل المجتمع سنجد أمراضاً مزمنة تحتاج إلى عقود طويلة من العمل الجاد والمهني حتى يستوي هذا المجتمع على عروش.

المطلب الثالث: مقومات العصبية القبلية

أولاً: نصرة القبيلة في الحق والباطل

من القيم المميزة للعصبية القبلية أن يهب ابن القبيلة إذا سمع نداء العصبية . حاملاً سلاحه، أو بغير سلاح . لينصر أخاه ولايسأله لم ؟ وعلى هذا فليس من العصبية والأخوة القبلية أن تسأل أخاك عما وقع له، بل عليك تلبية نداءه وتقديم العون له معتدياً كان أو معتدئاً عليه^(١) . وهذه هي الجاهلية بأمر عينها . كما يحصل الآن بين القبائل من تشتيت فيما لا يساوى شيئاً وسببه القبلية، يتم الاعتداء والقتل والتشريد كله بسبب القبيلة، والرسول عليه الصلاة والسلام عندما قال: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)^(٢) قيل يا رسول الله نصرته مظلوما فكيف أنصره ظالماً، قال تمنعه من الظلم فذلك نصرك إياه.

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، المجلد ٧ بيروت الطبعة الرابعة ص ٣٩٣.

(٢) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري. المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر.

دار طوق النجاة. الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ. عدد الأجزاء: ٩ ج ٦ ص ٢٢٩.

د . عبد الله أحمد التهامي

إذا النصر هنا، هي نصرته مظلوماً، أو ظالماً بنصحه، وردّه عن الظلم أو الاعتداء. وفي رواية أخرى، قالوا : «كيف تنصره ظالماً ؟ قال : تأخذُ فوقَ يديه» .

وفي الحديث عن عباد بن كثير الشامي عن امرأة منهم يقال لها فسيلة عن أبيها قالت : سمعت أبي يقول : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : يا رسول الله ! أمن العصبية أن يحب الرجل قومه، قال : (لا، ولكن من العصبية أن يعين الرجل قومه على الظلم)^(١).

ثانياً : الاحتكام إلى أعراف القبيلة :

معلوم أن العرب في الجاهلية قبل الإسلام كانت تحتكم إلى القبيلة وتحتكم إلى أعرافها ووجوب طاعتها والعمل بها . وقد كانت القبيلة العصبية أساس النظام وكان شيخ القبيلة هو المتحكم في أعراف ونظامها القبيلة. ويتم اختياره من أشرف الرجال وأشرف القبيلة ويكون أكبرهم سناً وأقواهم عصبية^(٢) . ومن هذه الأعراف ما هو حسن وما هو سيئ مثل وجوب الأخذ بالثأر^(٣).

رأي الباحث : تعد العصبية والقبلية في زماننا هذا أشد وأقوى من سابقتها فقد أخذوا منها ما هو شر، وتركوا ما هو خير فيها . فكانت المناداة للصغيرة والكبيرة وتسمى الفرعة عندهم فيحصل بها القتل والتشريد والتتكيل والحرق

(١) المعجم الكبير : سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني. الناشر : مكتبة العلوم والحكم - الموصل. الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي. عدد الأجزاء : ٢٠. ج ٢٢ ص ٢٨٣.

(٢) أحمد إبراهيم الشريف . مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول عليه الصلاة والسلام بيروت ص ٣١ .

(٣) جواد علي . كتاب المفصل . الجزء ٧ الصفحات ٣٥٨ و ٣٩٨.

العصبية القبلية

والنهب والاعتصاب للنساء واليتيم للأطفال . وهي بهذا المسمى نفسه وبأخذ الثأر نفسه .

وهذه من الشرور التي وقع فيها كثير من بلدان العالم المعاصر الآن . لذا وجب علينا الرجوع إلى شرع الله وتحكيم الشرع بدل القبلية والعصبية بين الناس .

ثالثا : العناية بالأنساب :

والأنساب هي التي تربط شمل القبيلة ويجمع شتاتها . وهي لصيقة بالعصبية وأحد أهم مقوماتها، يقول ابن خلدون . العصبية إنما تكون من الالتحام بالنسب^(١) .

ولذا اهتمت القبيلة بحفظ أنسابها، ويعد الأمر هذا من أهم مهام شاعر القبيلة^(٢) . إلا أن هذا الجانب لم يخلُ من وجه ذميم يتمثل بالتفاخر بالأنساب والأحساب والطعن في أنساب القبائل الأخرى^(٣) .

وحتى يومنا هذا يعد شاعر القبيلة هو مفخرة القبيلة وهو الذي يرفع رأس قبيلته وأيضا ما يسمى (بالحكمة) .

رابعا : التمييز بين أفراد القبيلة .

في الجاهلية قبل الإسلام كانوا يعاملون الناس حسب منازلهم ودرجاتهم . ومبدأ التكافؤ بين الناس ويقسمون المجتمع في عرفهم إلى :

- طبقة الأحرار .

- طبقة الموالي .

(١) مقدمة ابن خلدون ص ١٢٨ .

(٢) مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، ج ١ المنصورة ص ١٣٢ .

(٣) الألويسي محمد شكري: بلوغ الأدب في معرفة أحوال العرب، بيروت ص ٢٧٨ .

- طبقة الأرقاء

خامسا : الحلف والولاء

ويعد الولاء من خصائص العصبية القبلية، يقول ابن خلدون (١).
ومن هذا الباب الولاء والحلف إذ نكرة كل أحد على أهل ولائه وحلفه للألفة
التي تلحق النفس من اهتضام جارها أو قريبتها أو نسيبها بوجه من وجوه
النسب؛ وذلك لأجل اللحمة الحاصلة من الولاء مثل لحمة النسب .

سادسا : الإجارة .

وهي طلب الحماية والمحافظة على النفس والأهل والمال، وللجوار صلة
كبيرة بالنسب وبالعصبية عند العرب . وللجوار حرمة كبيرة عند الجاهلية .
فإذا أجار شخص آخر وجب عليه حمايته . وإلا يعد ناقضا للعهد (٢) .

الإسلام أخذ بالإجارة ففي جمادى الأولى سنة ست من هجرة رسول الله
صلى الله عليه وسلم . قالوا: بلغ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أن عيراً
لقريش قد أقبلت من الشام فبعث زيد بن حارثة في سبعين ومائة راكب يتعرض
لها، فأخذوها وما فيها وأخذوا يومئذ فضة كثيرة لصفوان بن أمية، وأسروا ناساً
ممن كانوا في العير، منهم أبو العاص بن الربيع، وقدم بهم المدينة فاستجار أبو
العاص بزینب بنت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فأجارته ونادت في الناس
حين صلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الفجر: إني قد أجزت أبا العاص!

(١) ابن خلدون: المقدمة ص ١٢٩ .

(٢) جواد علي . كتاب المفصل، جزء ٧ الصفحات ٣٩٩-٤٠٠ .

العصبية القبلية

فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: وما علمت بشيء من هذا وقد أجرنا من أجرت، ورد عليه ما أخذ منه^(١).

سابعاً: الأخذ بالثأر

يعد الأخذ بالثأر من خصائص القبيلة العصبية، والقاعدة عند العرب الدم لا يغسل إلا بالدم، وإذا كان جوهر فكرة أخذ الثأر للمقتول من القاتل لا ينكر عقلاً ولا عرف فإنَّ العصبية القبلية أحياناً ما تحيد عن جادة العدل والإنصاف فكانوا لا يقبلون بالقصاص . إلا أن يكافئ المقتول في الدرجة والمنزلة^(٢).

**

(١) الطبقات الكبرى : محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري. المحقق :

إحسان عباس. دار صادر - بيروت. الطبعة : ١ - ١٩٦٨ م. عدد الأجزاء: ٨.

(٢) مسلم بن حجاج القشيري . الجامع الصحيح . بيروت ج ١ ص ٥٨.

المبحث الثاني

أسباب العصبية القبلية وعلاجها

المطلب الأول : أسباب العصبية القبلية :

هناك كثير من الأسباب التي يمكننا ذكرها في أسباب العصبية لكن بعضها قد يكون خاصاً بفئة معينة أو شريحة خاصة.

١-التصورات النمطية : ونقصد بها التصورات الأحكام المسبقة والمقولة لفئة معينة باتجاه فئة أخرى، وممكن أن تكون هذه التصورات عرقية، أو دينية، أو مذهبية يتغذى منها الفرد المتعصب من خلال تنشئته عليها .

٢-العامل الثقافي: وأقصد به تلك التربية التي ساهمت في تنشئة المتعصبين على مفاهيم محددة لكي يتصفوا بها من خلال إكسابهم المعلومات والحقائق من والديهم أو أسرهم أو محيطهم الاجتماعي؛ فنتعزز لديهم العصبية وتصبح عندهم من المسلمات التي لا تقبل النقاش، كقيمة يتغذى منها المجتمع ويستمدّ منها وجوده وجذوره.

٣-المحيط الاجتماعي: وأقصد به الحاضنة الاجتماعية والمنتجة للتعصب والتي تساعد في دوام الظاهرة واستمراريتها؛ فالعصبية بدون حاضنة اجتماعية لا تدوم.

٤-طبيعة النفس البشرية الميل للعصبية: وعندما نقول إنها طبيعة في النفس البشرية لا نقرر أنها صفة حسنة، إنما يجب تهذيبها وكسر جماحها والحدّ من آثارها في الفرد والمجتمع.

٥-الجهل: وهو من أسباب العصبية القبلية وهو أساس الانحرافات والمعاصي؛ ولذلك فإن اقتران العصبية القبلية بالجهل كافٍ لنبذها وكره الناس لها، ولكنها لا تزال فيهم، وإنّ من أهم أسباب تفرق الأمة وانتشار التعصب فيها

العصبية القبلية

هو جهلها وبُعدها عن منبعها الصافي كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

٦-التقليد الأعمى: ومن أهم الأسباب التي دعت للوقوع في العصبية القبلية؛ الاحتجاج بما يفعله الآباء والأجداد، قال تعالى (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون^(١)).

نتائج العصبية القبلية والآثار المترتبة عليها:

هناك كثيرٌ من الآثار التي تحدث نتيجة التعصب القبلي والمناطقى سواء في الفرد أم في المجتمع، ومن هذه الآثار:

- التناحر والفرقة بين أفراد المجتمع الأمر الذي يصل إلى سفك الدماء وتفرقة القلوب.

- وكذلك يترتب عليها انتشار الفتنة والنعرات بين أفراد المجتمع ووقوع كثير من المشاكل والمشاحنات التي يستجيب لها ضعاف العقول والبصائر.

- انتشار التعصب يضعف الأمة الإسلامية على الرغم من ضعفها؛ كما يجعل الأفراد يبتعدون عن القضايا الكبرى للأمة ويهتمون بسفاسف الأمور وينشغلون عن الأخطار الحقيقية المحدقة بالأمة الإسلامية.

المطلب الثاني: علاج العصبية القبلية والمناطقية

إنّ علاج العصبية القبلية ليس بالأمر السهل؛ فلا يمكن علاجها في يوم وليلة، فالنبي صلى الله عليه وسلم مع ملازمته لزمّها والتحذير منها فترة نبوته ووجوده بين أصحابه كانت العصبية تجد طريقها إلى النفوس.

(١) سورة الزخوف الآية ٢٢.

د . عبد الله أحمد التهامي

فِعلاج العصبية صعب ويحتاج إلى مدّة طويلة وجهود كبيرة والتزام في تطبيق بنود العلاج حتى نصل إلى نتيجة ملموسة ... وهناك عدة خطوات لتقليل سطوة العصبية في نفوس أصحابها.

هذه الخطوات هي:

- ١-التذكير بأصل الإنسان وأنّ الكل متساوون عند الله، وميزان التفاضل هو التقوى "كلكم لأدم وآدم من تراب".
 - ٢-فإذا عرف الإنسان أن ميزان التفاضل هو التقوى كان حرياً به أن يترك التعصب بكل أشكاله، ومن بطؤاً به عمله لم يسرع به نسبه.
 - ٣-الاستمرار في ذم العصبية والتحذير منها وبيان عَوَارِها ونتائجها الكارثية على الأمم والشعوب.
 - ٤-التحاكم إلى شرع الله بكل حياتنا وشؤوننا والرضا والتسليم المطلق لشرع الله ورفض كل أشكال الأعراف والتقاليد التي تخالف الشريعة حتى نسدّ الباب على كل دعاوى العصبية والتعصب. والنبى صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به"^(١) وكفى بهذا الحديث ذمّاً للتعصب والعصبية.
- إن التآخي في الإسلام يفوق جميع الروابط الإنسانية الأخرى، وعلى الرغم من وجود بعض مظاهر التعصب القبلي في المجتمع الإسلامي، فإنّ ذلك لا يعني أن التعصب هو أمر مقبول أو مرحّب به.

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير : عبد الرؤوف المناوي. المكتبة التجارية الكبرى - مصر. الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ. عدد الأجزاء : ٦. مع الكتاب : تعليقات يسيرة لماجد الحموي. ج ٥ ص ٢٩٥.

العصبية القبلية

المطلب الثالث : نماذج للقبلية

نموذج للقبلية في الجاهلية : داحس والغبراء.

- داحس حصاناً لقيس بن زهير .

- والغبراء فرسٌ لحمل ابن بدر.

اتفق قيس وحمل على رهان قدره مائة من الإبل لمن يسبق من الفرسين .

كانت المسافة كبيرة تستغرق عدة أيام تقطع خلالها شعاب صحراوية ، وغابات، فأوعز حمل بن بدر نفرًا من أتباعه يختبئون في تلك الشعاب قائلًا لهم: إذا وجدتم داحس متقدماً على الغبراء في السباق فردوا وجهها كي تسبق الغبراء، فلما فعلوا تقدمت الغبراء، وحينما تكشف الأمر بعد ذلك اشتعلت الحرب بين عبس وذبيان التي عرفت باسم داحس والغبراء .

دامت تلك الحرب أربعين سنة وهي الحرب التي أظهرت قدرات عنتر بن شداد القتالية .

داحس والغبراء :

هي حرب من حروب الجاهلية بين فرعين من قبيلة عطفان هما :عبس وذبيان، وحرب البسوس وحرب الفجار وحرب بعاث من أطول الحروب التي عاشها وخاضها العرب في العصر الجاهلي .

التاريخ: في سنة ٥٦٨ م تقريباً.

الموقع : نجد في الجزيرة العربية.

النتيجة : تدخل الحارث بن عوف، وهرم بن سنان حيث كفلا ديات القتلى

ومن ثمَّ انتهت الحرب .

القيادة : سادة عبس - سادة بني ذبيان

قيس بن زهير - حذيفة بن بدر

د . عبد الله أحمد التهامي

الربيع بن زياد العبسي - سنان بن أبي حارث المربي
- عنتره بن شداد .

أسباب الحرب :

هو سلب قافلة الحجاج المناذرة تحت حماية الذبيانيين ، فخرج حذيفة مع مستشاره وأخيه حمل بن بدر وبعض من أتباعه لمقابلة زهير وتصادف أن كان يوم سباق الفرس .

هو أن قبسا العبسي من بني عبس، وحمل الذبياني من بني ذبيان قد تجادلا حول أي القبيلتين أسرع وأقوى، الحصان داحس أم الفرس الغبراء، فاتفقا على إجراء سباق ورهان، وأي الخيلين يسبق يفوز صاحبه بمئة بعير .
فقاما بالتحضير لذلك ووضعاً شروطاً للسباحة وحدداً مكانه.

من هما الرجلان اللذان أوقفوا حرب داحس والغبراء ؟

مات في هذه الحرب عروة بن الورد، وعنتره بن شداد، وانتهت الحرب بعد قيام شريفين هما الحارث بن عوف المريد، وهرم بن سنان المزبان الذبيانيين فأديا من مالهما ... القتلى الذين فضلوا بعد إحصاء قتلى العبسيين وأطفأ بذلك نار الحرب، وقد مدح زهير بن أبي سلمى هذا العقل في معلقته .

- بلغ ضحاياها عشرين قتيلا في اليوم الواحد .

**

الخاتمة

في ختام هذه الورقة التي أحسبها نافعة، والتي جاءت تحت عنوان (العصبية القلبية أسبابها وآثارها وعلاجها) فخلصت إلى الآتي:

١. كشفت الدراسة عن أن باعث العصبية كان وراء تدهور القبائل .
٢. العصبية والقلبية أساس كل دمار وخراب وإزهاق للأرواح .
٣. العصبية لو لم ترشد يحصل الفساد في الأرض.
٤. كشفت الدراسة أن الإجارة تساهم في حل بعض المشكلات .
٥. القلبية ليست ممنوعة في ذاتها ولكن ممنوعة في تصرفاتها غير المسئولة.

التوصيات :

١. الاهتمام بالتأليف والكتابة في مثل هذه الموضوعات .
٢. توضيح خطر العصبية والقلبية على المجتمعات
٣. قيام المنتديات والندوات ذات الصلة في توضيح خطر القلبية والعصبية
٤. بيان المفهوم الخطأ للقلبية والعصبية .

**

المصادر والمراجع

١. القرن الكريم .
٢. محمد بن أحمد بن الأزهري . تهذيب اللغة . تحقيق محمد عوض مرعب . بيروت، الطبعة ١ .
٣. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي . مقدمة ابن خلدون .
٤. محمد عابدين الجابري . العصبية والدولة ببيروت . طبعة ٦ .
٥. مسند الإمام أحمد بن حنبل : أحمد بن حنبل . المحقق : شعيب الأرنؤوط وآخرون . الناشر: مؤسسة الرسالة . الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م . الجزء الرابع عشر .
٦. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام المجلد ٧ بيروت الطبعة الرابعة .
٧. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفري البخاري . المحقق : محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر : دار طوق النجاة . الطبعة : الأولى ١٤٢٢هـ . عدد الأجزاء : ٩ ج٦ .
٨. المعجم الكبير : سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني . الناشر: مكتبة العلوم والحكم - الموصل . الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٨م ، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي . عدد الأجزاء : ٢٠ .
٩. أحمد ابراهيم الشريف . مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول عليه الصلاة والسلام بيروت .
١٠. جواد علي . كتاب المفصل . الجزء ٧ الصفحات .
١١. مصطفى صادق الرافعي . تاريخ آداب العرب ج ١ المنصورة .
١٢. الألوسي محمد شكري، بلوغ الأدب في معرفة أحوال العرب، بيروت .

العصبية القبلية

١٣. الطبقات الكبرى : محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري.
المحقق : إحسان عباس. الناشر : دار صادر - بيروت. الطبعة : ١ -
١٩٦٨م. عدد الأجزاء : ٨ .
١٤. مسلم بن حجاج القشيري . الجامع الصحيح . بيروت .
١٥. فيض القدير شرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف المناوي. المكتبة
التجارية الكبرى - مصر. الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ عدد الأجزاء : ٦.
مع الكتاب : تعليقات يسيرة لـ ماجد الحموي.

**

المستخلص

الحمد لله رب العالمين الحمد لله الذي أرشدنا إلى الطريق القويم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الهادي إلى الصراط المستقيم. الذي بلغ رسالة ربه ونصح لهذه الأمة وجاهد في الله حق الجهاد حتى أتاه اليقين من ربه فصلوات الله وتسليماته عليه وبعد.

فقد جاء هذا البحث الموسوم بعنوان : العصبية القلبية أسبابها وآثارها وعلاجها: وقسمت البحث إلى مبحثين: المبحث الأول تعريف وأشكال ومقومات العصبية . والمبحث الثاني : أسباب العصبية القلبية وعلاجها وخلصت إلى الآتي: كشفت الدراسة عن أن باعث العصبية كان وراء تدهور القبائل. فكانت العصبية والقلبية أساس كل دمار وخراب وإزهاق للأرواح. فالعصبية لو لم ترشد يحصل الفساد في الأرض. وكشفت الدراسة أن القلبية تُسهم في حل بعض المشكلات. فالقلبية ليست ممنوعة في ذاتها ولكن ممنوعة في تصرفاتها الغير المسئولة.

* * *